عرض كتاب

الصحة: حاضرها ومستقبلها في المملكة العربية السعودية

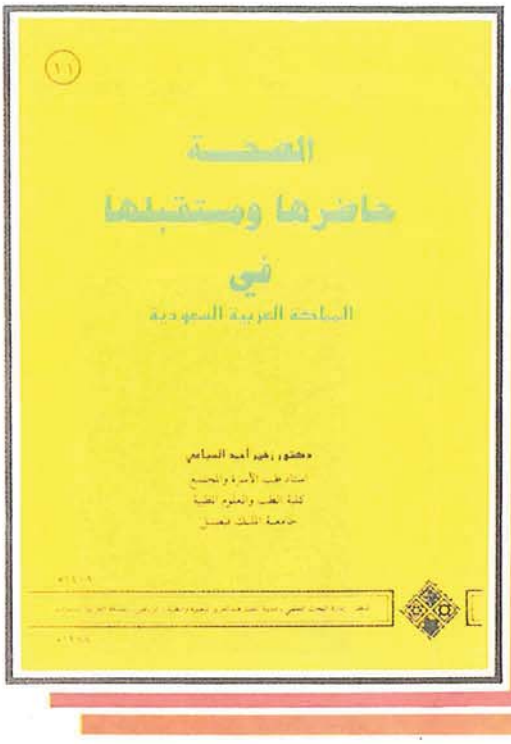

د. حسن تيم
مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية

المؤلف : د. زهير أحمد السباعي
أستاذ طب الأسرة والمجتمع بكلية الطب والعلوم الطبية
جامعة الملك فيصل

الناشر : إدارة البحث العلمي
مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية
الرياض ١٤٠٨هـ

ان من أهم مكونات خطط التنمية في أي دولة هو تطوير القوى البشرية وتأهيلها لتحقيق أهداف هذه الخطط ولا يتم ذلك إلا بالعناية الصحيحة بصحة الفرد ، فالعقل السليم في الجسم السليم والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وقد خطت المملكة العربية السعودية خطوات هائلة نحو تأمين مستوى عال من الصحة لمواطنيها والمقيمين على أرضها . ويأتي الكتاب الذي نحن بصدده شاهداً يروي مسيرة التنمية في مجال الرعاية الصحية في المملكة ، ويضيء الطريق أمامنا لينشر بشائر المستقبل في هذا المجال .

والكتاب حصيلة دراسة عن المشكلات والخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية قام بها المؤلف بدعم من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ، وقد وضع بنتيجتها كتابين أولهما مطول باللغة الانجليزية موجه إلى المتخصصين من الأطباء والعاملين في الحقل الصحي ، والثاني هو هذا الكتاب الذي نستعرضه ، وقد جاء مختصراً ، راعى فيه المؤلف السهولة في التعبير والسلاسة في الأسلوب والسلامة في اللغة ليكون في متناول المتخصص وغير المتخصص .

ويقع الكتاب في (١٥٧ صفحة) منها ثلاثون صفحة من المراجع الانجليزية التي لم يكن لادراجها داع في الكتاب ، فهي مأخوذة من النسخة الانجليزية .

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة يوجز فيها ما يعتقد انه يشكل الأولويات التي على القائمين على الرعاية الصحية ان يولوها اهتمامهم ويفسحوا لها حيزاً واسعاً في خطط التنمية وهي : الطب الوقائي (أو ما يسمى بالصحة العامة) والإدارة الطبية المتخصصة والرعاية الصحية الأولية والتعليم الطبي وضرورة تطويره وتشجيع تفاعله مع احتياجات المجتمع ، والتعليم الطبي المستمر (أي استمرار تدريب وتثقيف المشتغلين بالأمور الطبية أثناء حياتهم العملية) والتنسيق الخليجي والعربي في مجال الصحة . ثم يقسم المؤلف كتابه إلى بابين رئيسين :

١. المشكلات الصحية

يناقش المؤلف في هذا الباب أمراضاً شائعة اختارها ولم يذكر سبباً لاختيار هذه الأمراض دون غيرها ، ويترك للقارىء تخمين سبب لذلك ، فربما كانت هذه الأمراض هي التي تتوفر معلومات أكثر عن تطورها ، أو ان نتائج مواجهتها في المملكة كانت هي الانجح . ويضمن قائمة الأمراض التي يناقشها مشكلتين صحيتين احداهما قد تكون سبباً في حدوث بعض الأمراض وهي مشكلة التغذية والأخرى ليست مرضاً ولكنها بالتأكيد مشكلة صحية من حيث انها تعرض حياة الإنسان إلى خطر الموت أو التشويه وهي اصابات الطرق .

وبتلخص أسلوب معالجة المؤلف لكل مرض من هذه الأمراض بعرض ماهية المرض : اكتشافه ، تطور المعرفة حوله ، وطرق علاجه ، ثم يستعرض الشريط التاريخي لتطور هذا المرض في المملكة مقارناً ذلك بالمناطق الأخرى اقليمياً وعالمياً ،

ويخلص إلى سرد مايراه مناسباً من اجراءات صحية لتحسين وسائل الوقاية من المرض .

أما الأمراض التي يستعرضها المؤلف فتشمل : البرداء (الملاريا) ، البلهارسيا ، السل ، الخثر (التراخوما) ، التهاب الكبد الفيروسي ، الداء السكري ، فقر الدم المنجلي ، والسرطان .

وعلى الرغم من ان بعض هذه الأمراض أصبحت قديمة وأوشكت على ان تستأصل من المملكة كالبرداء (الملاريا) والبعض الآخر أصبح خطره قليلاً نسبياً كالبلهارسيا والسل ، وإلى حد أقل التراخوما ، إلا ان الوضع المميز للمملكة بالنسبة للعالم الإسلامي وانفتاح أبوابها للزوار من الحجيج والعاملين الأجانب ، يفرض على القائمين على شئون الرعاية الصحية ان يتخذوا جميع اجراءات الوقاية الممكنة من جميع الأمراض المعدية قديمها وحديثها .

ومن الأمراض التي يستعرضها المؤلف ما جناه علينا التطور والنعيم كمرض السرطان والداء السكري ، اللذين يرتبطان إلى حد كبير بملوثات البيئة وبالعادات السيئة في التغذية بتناول نوع معين من الغذاء دون غيره والاكثار من الدهون وقلة ممارسة الرياضة ، والسمنة أو البدانة .

وتجدر ملاحظة عدم استعراض المؤلف للأمراض العصرية التي لا يكتمل كتاب عن الصحة : حاضرها ومستقبلها دون ان يشير إليها لخطورتها ولضرورة التوعية بها والتحذير منها وهي أمراض القلب (على الرغم من انه يذكر ان تقارير أرامكو تشير إلى انها السبب الأول في الوفاة بين الموظفين السعوديين في الشركة) ، والأمراض التناسلية ، وادمان المخدرات .

ويعرض المؤلف مشكلتين من المشاكل الصحية ألا وهما التغذية واصابات الطرق . أما مشكلة التغذية فان من أهم اعراضها المرضية في المملكة لين العظام بين الأطفال وفقر الدم وقلة الوزن أو زيادته . إلا أن المؤلف أكد ان مثل هذه المشكلة لا تعد من المشاكل الكبيرة في المملكة .

وأما اصابات الطرق فانها أكثر أسباب الوفاة داخل المستشفى إذ ان ٢٠٪ من المصابين في حوادث الطرق يموتون في المستشفى ، وهي من هذه الناحية تفوق الوفيات بأمراض القلب أو السرطان .

وقد وجد أن أهم أسباب اصابات الطرق في المملكة عدم استخدام حزام الأمان ، وعدم اعطاء المصاب العناية الكافية عند الاصابة أو أثناء النقل إلى المستشفى ، ومن ثم فان دور التوعية مهم جداً في التقليل من هذه الاصابات .

وقد بلغ معدل الوفيات بسبب اصابات الطرق في المملكة عام ١٩٨٠م ٢٢٨ وفاة لكل ١٠٠,٠٠٠ سيارة بينما بلغ المعدل في الولايات المتحدة الأمريكية ٤٢ وفاة وفي المملكة المتحدة ٤٤ ، واليابان ٤٩ ، وفرنسا ٧١ وفاة .

ومن طريف ما ذكره المؤلف ان عملية حسابية قد اجريت لحساب الخسائر المادية المترتبة على اصابات الطرق ، بما في ذلك الخسارة المادية الناتجة عن اصابة الأفراد ، فبلغت هذه الخسائر ١٦ بليون ريال سعودي في السنة .

٢ ـ الرعاية الصحية

يبحث المؤلف في هذا الباب مكونات الرعاية الصحية وتطورها في المملكة على مدى السنين . ففي خلال خمسة عشر عاماً (١٩٧٠ ـ ١٩٨٥) تضاعف عدد المستشفيات والأسرة والمراكز الصحية نحواً من ثلاث مرات وزاد عدد الأطباء اثنتي عشرة مرة (من ١١٧٣ إلى ١٤٣٣٥) ، وزاد عدد المرضين والممرضات سبع مرات وزادت ميزانية وزارة الصحة حوالي خمسين ضعفاً ، كما ارتفع نصيبها من الميزانية العامة للدولة من ٣,٢٪ إلى ٤,٤٪ .

وقد سار هذا التطور رأسياً فرأينا ازدهار المستشفيات المتخصصة ومراكز الأبحاث الطبية ، وأفقياً فشمل كل بقعة من بقاع المملكة . كما شمل التطور الصحي (ولو بدرجة أقل من طموحاتنا) الوقاية إلى جانب العلاج ، فوضعت برامج عديدة للقضاء على الأمراض المعدية والوقاية منها . وأصبحت مستويات الجراحة تضاهي مثيلاتها في الدول المتقدمة في مجالات القلب والأوعية الدموية والكلى والعيون والسرطان . وشمل هذا التطور التعليم الطبي .

ولم ينس المؤلف ان يشير بحس الطبيب البارع في تشخيص المرض ، إلى المواطن التي تحتاج إلى مزيد من العناية في مسيرة الرعاية الصحية . فقد رأى ان التطور في بناء المنشآت لم يساو القدرة على ادارتها ، وتخلف إعداد الفريق الطبي عن مواكبة خطوات بناء المستشفيات ، وهذا أمر ليس مستغرباً في ظروف الطفرة ، لان بناء المنشآت قد يتم في سنة أو سنوات قليلة أما بناء الفرد فعملية أطول من ذلك بكثير . لكن خطط التنمية المتتالية لحظت ذلك فوجدنا الخطة الرابعة تركز أول ما تركز على تنمية القوى البشرية وتأهيلها في جميع المجالات ، ومنها الرعاية الصحية .

كما لاحظ المؤلف ان الرعاية الصحية أصبحت في أغلبها رعاية علاجية ، وان الرعاية الوقائية لم تعط الاهتمام الكافي . وأخيراً فان الاحصاء الطبي قد قصر عن تقديم المعلومات الكافية للتخطيط والمتابعة والتقويم .

ولعل أهم مجالات الرعاية الصحية التي ينادي الكاتب بزيادة الاهتمام بها الرعاية الصحية الأولية ، إذ لايزال معدل وفيات الأطفال والرضع في المملكة ٦٥ حالة في الألف في حين لا يتعدى ١٩ في الألف في البلدان المتقدمة صناعياً ويدعو الكاتب لانشاء المزيد من المراكز الصحية وتأهيل وتشجيع القوى البشرية السعودية للعمل فيها ، إذ ان العاملين في القطاع الصحي ، وخاصة السعوديين ، لا يقبلون على العمل في المراكز الصحية وبالذات ماكان منها في المناطق النائية ، ولا يشكل السعوديون في المراكز الصحية أكثر من ١,٥٪ من مجموع الأطباء ، و٣,٤٪ من أطباء الأسنان و٤,٣٪ من الصيادلة و١١٪ من هيئة التمريض و١٨٪ من المساعدين الصحيين .

ولعل أهم التحديات التي تواجه خطط التنمية هو توفير القوى البشرية المؤهلة لتنفيذ هذه الخطط في القطاعات المختلفة والتي يأتي القطاع الصحي في مقدمتها .

وقد تطور التعليم في المملكة كماً ونوعاً ضمن خطط التنمية الطموحة المتتالية ، فقد أصبح في المملكة حوالي ١٥٠٠ طبيب سعودي ويتوقع ان يصل هذا العدد إلى ٧٠٠٠ عام ٢٠٠٠م . غير ان توزيع هؤلاء الأطباء لا يخدم الخطة المثلى للرعاية الصحية التي نصبوا إليها . إذ انه لا يوجد حالياً أكثر من ٦ أطباء سعوديين متخصصين في الصحة العامة بفروعها المختلفة . ويكاد ينعدم المتخصصون في طب الأسرة والمجتمع في الوقت الذي سنحتاج فيه إلى حوالي ١٨٠٠ طبيب متخصص في هذين المجالين عام ٢٠٠٠م .

ويرى المؤلف انه على الرغم من خطط التنمية الطموحة فان الاحصاءات المتوفرة لا تشير إلى اننا سنحقق الاكتفاء الذاتي من الأطباء السعوديين بدخول عام ٢٠٠٠م ولذا فانه يقترح ان ينظر في تعديل هذا الوضع بان تنشأ كلية للطب ، أو ان يزاد عدد المقبولين في كليات الطب ، أو يعدل المنهج الدراسي في كليات الطب بان تخفض سنوات الدراسة من ٧ إلى ٦ سنوات ، كما انه يوصي بان :

ـ توثق العلاقة بين التعليم الطبي والخدمات الصحية .

ـ تنشأ كلية للدراسات العليا في الصحة العامة أو طب الأسرة والمجتمع .

ـ يطور التعليم الطبي المستمر .

ـ توضع برامج لتوعية المواطنين كي يعتمدوا على أنفسهم في الخدمات الصحية .

وأخيراً فان الكاتب اختار عنواناً لدراسته « الصحة حاضرها ومستقبلها » ، ولكنه بالضرورة لم يبخس الماضي حقه ، فقد جاء كتابه عن « الصحة : ماضيها وحاضرها ومستقبلها في المملكة العربية السعودية » .

جزى الله الكاتب خيراً عن هذه المساهمة ونتمنى له مزيداً من المساهمات العلمية البناءة .

والله من وراء القصد .